دَورُ العاملِ الدِّينيِّ في نشأةِ الاستشراقِ

راجح إبراهيم السباتين

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

"دَورُ العاملِ الدِّينيِّ في نَشأة الاستشراق"

الدّكتور راجح إبراهيم السباتين

مُلَخَّـص

يتناولُ هذا البحثُ، والذي يقعُ في ثلاثة مطالب، مسألة الاستشراق الدِّينيّ من حيثُ النشأة والتطوُّرُ، ومدى تأثير هذا النّوع من الاستشراق على صورة الإسلام والقرآن الكريم والنبيّ مُحَمَّدٍ – صلَّى اللهُ عليه وسلَّم - في القارّة الأوروبّية. ويناقشُ البحثُ الظروفَ الدِّينيّة والسّياسيّة التي رافَقَتْ ولادَة هذا الاستشراق في العُصور الوسطى والتي شهدت صداماتٍ عسكريّةً عنيفةً بين العالم الإسلاميّ وأوروبا المسيحيّة في ظلّ الحروب الصليبيّة وما تلا ذلك من تحوّلاتٍ جذريّةٍ في نوع هذه الصِّدامات وانتقالها من "العسكريّة" إلى "العَقَديّة". كما يناقشُ البحث كذلك مساهمة الكنيسة الأوروبيّة في دعم هذا النوع من "الصِّدام العقديّ" على المستويين الفرديّ والجماعيّ وجهود بعض كبار الرُّهبان في ذلك.

الكلمات الدالة: الاستشراق، الحروب الصليبية، العصور الوسطى، أوروبا الغربية، الرهبان.

The Role of The Religious Factor in Emergence of Orientalism

Abstract

This research which consisted of three requirements, tried to explain religious orientalism in terms of upbringing and development, and the extent influence of this kind of orientalism upon the image of Islam, holy Quran, and the prophet Mohammad -peace be upon him- in the Europe content.

This research discusses the political and religious circumstances that associated with emergence of this orientalism in the Middle Ages, which faced violence military clashes between Islamic world and Christian Europe on the shade of Crusades, followed by radical changes in the kind of these clashes and it's transformation from military into doctrines. Also the research discusses European Church's contribution that supported the doctrine clash on the collectively and individually level and the efforts of big priests on that matter.

Key Words: Orientalism, Clashes, Crusades, Doctrine Christianity, Islam, Orient, West Europe

المطلب الأول الاستشراقُ الدِّينيُّ

جذورُه وغاياتُه ومَسَالِكُه ودَورُ الكَنيسَةِ فيه

شهدت أوروبا في العصور الوسطى[1] إعلانَ حربٍ مُسلَّحةٍ و أُخرى إعلاميّة عقَديَّة على الإسلام و المسلمين. استهدفت تشويه صورته والتخويف منه والصدَّ عنه.أمَّا الحربُ المسلَّحةُ فقد اشتهرت باسم الحروب الصليبية[2]، و أمَّا الحرب الإعلامية العقَديَّة فقد كانت وجهاً آخر من وجوه مواجهة رجال الكنيسة ورهبانها للإسلام؛ وهي مواجهةٌ عقديّةٌ وفكريّةٌ بالدّرجة الأولى، كما أنّها نوعٌ من المواجهات التي اتَّسمت بالفرديّة حيناً وبالمؤسّسية والرسميّة حيناً آخر... وهذه المواجهة التي نحن بصدد الحديث عنها هي الاستشراق[3]. والنوع الذي يعنينا في هذا البحث هو الاستشراق الدّيني بالذات، دون غيره من أنواع الاستشراق، ونقصدُ على وجه الخصوص المحاولات الاستشراقية التي ظهرت إلى الوجود بدعمٍ رسميّ ومباشرٍ من الكنيسة أو من كبار الرهبان ورؤساء الأديرة الشهيرة آنذاك لدراسة الإسلام بهدف البحث عن (عيوبه ونقائصه وتناقضاته !!). "وقد اختلف المؤرخون في تحديد البداية الحقيقية للاستشراق زمنياً ومكانياً، فمنهم من يرى أنّها كانت على أيدي طلاب العلم الأوروبيين الذين توافدوا إلى الأندلس العربية ونهلوا من منابع المعرفة فيها ونقلوها إلى أوروبا منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، ومنهم من يرى أنّ البداية جاءت من بيزنطة التي قهرها العرب المسلمون، وانتزعوا منها أراضي واسعةً في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي، والتي توقَّفتْ لاستكناه طبيعة هذا الفاتح العظيم، ومنهم من يرى أنّ بداية الاستشراق كانت وليدة الحروب الصليبية والاحتكاك المباشر بين شعوب غرب أوروبا والعرب. ويرى البعضُ أنّ بداية الاهتمام الفعليّ الغربيّ بالإسلام والمسلمين كانت عند مجابهة الخطر العثماني الذي جَاسَ خلال الأراضي

الأوروبية وأَسقطَ ممالك وأزاح عروشاً، وأصبح حقيقةً من حقائق السياسة الأوروبية"[4]. ولعلّ القاسم المشترك الذي يجمعُ بين الآراء السابقة كلها هو انطلاق هذا النمط من الدراسة لتراث الشرق ودينه الإسلامي وحضارته من بلاد الغرب، والتأكيدُ على أنّ الدِّين الإسلامي وحركة الفتوحات الإسلاميّة آنذاك هي السبب الأبرز والدافع المحرِّك لاتجاه الغربيين نحو دراسة الإسلام، ديناً وحضارةً وتاريخاً... وممّا لا شكَّ فيه أنّ الدافع الدينيَّ كان أقوى الدوافع لقيام الاستشراق، حيث يربط كثيرٌ من الباحثين المهتمّين بالدراسات الاستشراقية بين نشأة الاستشراق وبداية ظهوره وبين الفشل الذريع الذي مُنِيَتْ به أوروبا في الحروب الصليبية؛ ذلك أن الحملات الصليبية لم تحقق للغرب طموحاته، ولم تسعفه بالسيطرة على الشعوب العربية واستخلاص بيت المقدس من أيدي المسلمين. "ولقد تغيَّرَ أسلوبُ المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب بعد الحروب الصليبية، فاحتلت الكلمةُ والحوارُ واستخدامُ المنهج العلميّ المكانةَ الأولى في دراسةٍ نفسيَّةٍ للشرق لمعرفة الأسلوب الأمثل للمواجهة، وكان ذلك بديلاً عن المواجهة بالسلاح والقوة العسكرية"[5]. ولقد فرض هذا الأسلوب الجديد في المواجهة العكوفَ على دراسة أحوال الشرق؛ لغته ودينه، حضارته وتاريخه، فلسفته وعلومه، عقيدته وأصولها، وأن تُوضَعَ المناهجُ الدراسية المناسبة لاستكشاف عوامل هذه القوة الصّلبة التي تكسَّرت عليها تلك الحملات الصليبية المتكررة، ومحاولة فهمها وتحليلها نفسياً لمواجهتها بأسلوبٍ يختلف تماماً عن المواجهة العسكرية. "ولمّا كان القائمون على أمر الحروب الصليبية والمحركون لها هم رجال الكنيسة وسدَنتَها، فإنَّ ذلك جعل رجال الكنيسة في طليعة المهتمّين بأمر الشرق ودراسة أحواله، ومن هنا، فإنّ طليعة المستشرقين كانوا في معظمهم من القساوسة ورجال الدين المسيحي"[6].

إذاً فقد كان الاستشراقُ الدِّينيُّ هو الحل الأمثل، والبديل الأنسب للمواجهة مع الإسلام. وهذه حقيقةٌ أكَّدَها أكثر من مرّةٍ المؤرخ ريتشارد سوذرن؛ "وقد أدرك ألدُّ أعداء الإسلام بين الأوروبيين أنَّ الصّراع العسكريّ معه لا يكفي لإسقاطه، وأنه لابدَّ من اشتغالٍ أعمقَ بفهم مضامينه ومحاولة نقضها. وكانت حجَّتُهم في إقبالهم على دراسة الإسلام ضرب إرادة المقاومة عند الخصم عن طريق تشكيكه بصحّة عقيدته، ودفع الجنود الأوروبيين لمزيدٍ من الضراوة والانتظام عن طريق التركيز على قوَّة الإسلام العسكرية. ومن نافلة القول هنا الاستنتاجُ أنَّ الفريق الذي كان يُعارضُ العمل العسكري ضد الإسلام كان أكثر إقبالاً على التصدي للإسلام فكرياً بعد أن فَقَدَ إيمانه بالعمل المسلح"[7].

ومن أجل تحقيق الهدف العقدي من الاستشراق فقد سلك المستشرقون الأوائل من الرهبان الكاثوليك المسالك الأربعة التالية [8]

المسلك الأول: الحرص الكامل على حجب حقيقة الإسلام وأهدافه النبيلة عن جمهور العوام المسيحيين في أوروبا، وذلك من خلال قلب الحقائق وتشويهها وإبراز ما كانوا يرون أنّه نقاط ضعفٍ وتناقضٍ في الإسلام، وقد تحقّق ذلك من خلال إشاعتهم وإحيائهم للفكر الرؤيوي[9] ومن خلال مؤلفاتٍ جدليّةٍ باطلةٍ وضعها الرهبان لهذه الغاية، وبالذات الترجمات الزائفة المغلوطة للقرآن الكريم، وتزوير وقائع وأحداث السيرة النبوية الشريفة.

المسلك الثاني: حرصُ الكنيسة ورهبانها الدائم على تشويه صورة المسلمين، وذلك من خلال التأكيد على وصفهم بالعديد من الأوصاف المنفِّرة القبيحة المخيفة، كوصفهم بالمقاتلين المحمّديين الأشدّاء الذين لا يعرفون الرحمة، والسراسنة المتخلّفين الذين لا يفقهون سوى القتال وحمل السيف وقتل الآخرين، وكذلك وصفهم بأنهم غيرُ متحضّرين يسكنون الصحراء ويقتتلون فيما بينهم.

المسلك الثالث: أفنى هؤلاء المستشرقون الرهبان أعمارهم، وضيّعوا أوقاتهم في دراسة الإسلام للبحث عمّا يطعنون في الإسلام من خلاله؛ ومثال ذلك، إجهاد أنفسهم في البحث عن تناقضاته، أو البحث في إثبات كون الإسلام ديناً منحولاً من اليهودية والمسيحيّة والمصادر الأُخرى المليئة بالهَرطقات والبِدَع.

المسلك الرابع: التخطيط لبدء حملاتٍ خبيثةٍ تستهدف تبشير المسلمين (أو بالأصح تنصيرهم)، وهو الأمر الذي تقرّر بشكلٍ رسميٍّ وواضحٍ من خلال مؤتمراتٍ ومجامع كنسيّةٍ خُصِّصت لهذا الأمر...

وما من شكٍّ في أنّ هذه المسالك السابقة كلّها كانت تتحرّك بدافع الكراهية للإسلام، وبدافع الخوف من انتشاره السريع في كلِّ أرضٍ كان يطؤها المسلمون، وكان من أبرز أهداف هؤلاء المستشرقين الرهبان "منع انتشار الإسلام في أوروبَّا وغيرها، حفاظاً على سلطة الكنيسة ومفاهيمها... فَقَد كَانَ أعداء الإسلام يروون غليلهم بمنع النَّاس وصدِّهم عنه، حَيْث كَانَ الإسلام، من غَيْر شَكٍّ، يُشَكِّلُ استفزازاً مُقلقاً بطرقٍ عديدة، فَقَد كَانَ قريباً مِن المسيحيَّة قُرباً مقلقاً جغرافياً وثقافياً، فمنذ نهاية القرن السَّابع عَشَر كَانَ الإسلام في شكله العربيّ العثماني، أَو في الشمال الإفريقي الإسباني، قَد هَدَّدَ المسيحيَّة الأوروبِّيَّة تهديداً فعّالاً، ولم يَكُن ممكناً أَن يغيب عَن ذهن أَيّ أوروبِّيٍّ ماضياً أو حاضراً كون الإسلام قَد فاق روما إشعاعاً وسما عليها"[10].

يتبيَّن لنا ممّا سبق أنّ نشأة الاستشراق كانت دينيّةَ الدافع في المقام الأوّل، وأنَّ الكنيسة الكاثوليكيّةَ ورهبانها كانوا المُحَرِّكَ والدّاعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حربها المُعلَنة ضدَّ الإسلام والمُسلمين؛ تلكُمُ هي الحربُ الإعلاميّة التضليليّة التي اختارتها الكنيسة ولجأ إليها رجالاتها بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبيّة أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى. إنّ القول بدينيّة الدّافع وصليبيّة

المحرِّك للاستشراق ليس إلقاءً للكلام على عواهله، ولا هو من باب الجُزاف، إنما هو قولٌ يتبعُه الدليلُ الذي يدعمهُ ويشهد لصحّته؛ والذي يشهدُ لصحّة هذا الكلام جغرافيّةُ المكان الذي انطلقت منه الدعوة الاستشراقية، وتشهدُ له الحقائق التاريخية التالية:

أولاً: إنّ البداية الحقيقيّة للاستشراق على المستوى الفرديّ كانت على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربر دي أورياك[11] الذي انتُخِبَ لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما، وحَمَلَ لقبَ سلفستر الثاني في العام 999م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشرق، وارتبطت باسمه بداية حركة الاستشراق؛ حيث رحل من فرنسا إلى إسبانيا، مهد الحضارة الإسلامية في حينه، فتَعلَّمَ اللغة العربيَّة، ووقف على علوم المسلمين في الرياضيّات والطبّ والفلك والكيمياء والفلسفة، كما قرأ بعض العلوم الدينيّة، حتَّى قِيلَ عنه إنَّه كانَ أوسع علماء عصره معرفةً بعلوم المسلمين، وبخاصّة في الرياضيات والفلك. ثم ارتحل إلى روما مقرّ البابويّة، حيث اشتُهِرَ هناك بين أقرانه بمعرفته الواسعة باللغة العربيّة وعلوم المسلمين، فانتُخِبَ حبراً أعظم تحت لقب سلفستر الثاني (999م - 1003م) فكان بذلك أول بابا فرنسيٍ يعتلي كرسي البابوية.

واستطاع من خلال منصبه الجديد أن يُنشئ مدرستين لتدريس اللغة العربيَّة وعلومها، وكانت الأُولى منهما في روما مقرِّ البابوية، وأمَّا الثانية فكانت في موطنه الأصلي (دايمس)، ثم أنشأ مدرسةً ثالثةً باسم (شارتر). وقد قام هذا الراهب بترجمة بعض الكتب العربيّة في الرياضيات والفلك. وإليه يرجع الفضل في انتشار الأعداد العربيّة في أوروبا التي كان ينقصها الرقم صفر، ولم تكن أوروبا تعرفه حتى نقله إليها (جربر) من العربية إلى اللاتينية، هذا الرقم الذي تمَّ به حلُّ كثيرٍ من المشاكل الحسابية هناك بعد نقله.

ثانياً: انتقل الاستشراق من الفرديّة إلى العمل الجماعيّ والمؤسّسي على يد الراهب الفرنسي بطرس المبجّل الذي كان رئيساً لدير كلوني[12] الشهير في جنوب فرنسا، حيث أمرَ هذا الراهبُ بتنفيذ أوَّلِ ترجمةٍ لاتينيّةٍ للقرآن الكريم، وأشرف على العاملين عليها بنفسه وكان يدفع لهم أجورهم منه، وكان هدفه من هذه الترجمة دراسة القرآن للطعن فيه، وبيان نقاط ضعفه وتناقضاته!!. وكان يؤمن بحتميّة الصراع والصدام مع الإسلام، ولكن ليس بالسيف، وإنّما بالكلمة والإقناع والحجّة "وفي نظرته للمسلمين كهراطقةٍ، اعتقد بطرسُ المَبَجَّلُ بإمكان إعادتهم إلى فلك الكنيسة، وذلك إذا تمكَّن اللاهوتيون والمبشّرون المسيحيون من أن يُظهِروا لهم بشكلٍ مقنعٍ، أين تكمن انحرافاتهم وضلالاتهم. وحول نوايا بطرس المبجل هذا تشهد رسالته التي وجهها إلى العرب، ويقول فيها: "من بطرس الفرنسي الجنسية، المسيحي العقيدة، الآباتي في الخدمة الكنسية، من أولئك الناس الذين يُطلق عليهم الرهبان... إلى العرب، أبناء إسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل، الذي يدعى محمداً..."[13].

ويصف "جورافسكي" بطرسَ المبجلَ هذا بقوله: "فيمكنُ من دونِ أيِّ مُبالغةٍ تسميته مؤسِّس الدراسات الإسلامية لدى مسيحيي القرون الوسطى"[14].

ثالثاً: انتقل الاستشراق إلى المرحلة الرسميّة بعد صدور قرار مجمع فينّا الكنسي عام 1312م "وُلِدَ الاستشراق بقرارٍ كنسيّ، ونشأ وترعرع في أحضان الكنائس الأوروبية، واستمدَّ منها قوَّته ومقوِّمات بقائه. وفي الغرب المسيحي يُؤَرَّخُ لبدء وجود الاستشراق الرسميّ بصدور قرار مجمع فينّا الكنسي عام 1312م، بتأسيس عددٍ من كراسي الأستاذية في (اللغات) العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونا وأفينيون وسلامانكا، وتأسَّس كرسيُّ اللغة العربية في روما على نفقة الفاتيكان،وفي باريس على نفقة ملك فرنسا، وفي

أكسفورد على نفقةِ مَلِكِ إنجلترا، ويعتبرُ كثيرٌ من المؤرخين لحركة الاستشراق أنَّ هذا المؤتمر هو البداية المنظَّمةَ وشبهَ الرسمية للاستشراق، وما كان قبل ذلك إنما كان بمثابة الإرهاص لميلاد هذه الحركة، وتَبِعَ ذلك انتشارُ المدارس والمعاهد الاستشراقية المعنيّة بدراسة الشرق وعلومه الإسلامية بصفةٍ خاصة"[15].

ولم تتردّد الكنيسةُ الكاثوليكية يوماً في الإفصاح عن أهدافها من إنشاء المؤسَّسة الاستشراقية وكونها تمهيداً لارتداد العرب إلى المسيحية؛ ولذلك فقد "نصَّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربيّة في جامعة كامبردج عام 1636م على أنّ الكرسيَّ أُنشئ بهدف توسيع حدود الكنيسة ونشر المسيحية بين المسلمين الذين يعيشون في الظلمات. ولم تقتصر جوانب التنصير في المؤسسة الاستشراقية على الهدف وسلطة الإنشاء، بل تعدَّتها إلى الممارسة والتنظيم، فقد كان الرهبان في طليعة المستشرقين"[16].

وممّا سبق يتوضّح لدينا مدى التداخل الكبير في مهمّة كلٍّ من المُستشرِق والمُبَشِّر، ولعلَّ هذا التداخل يدعم صحّة ما ذهبنا إليه من القول بالطبيعة الدينيّة والدّافع العقدي للاستشراق. ولعلّ هذا التداخل في الوقت ذاته أكبر دليلٍ على عدم موضوعيّة وحيادية الاستشراق الدِّينيّ، خصوصاً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ البابوات كانوا يرصدون انتشار العقيدة والفكر الإسلاميّ في أوروبا، وينظرون إليهما بكلِّ الخوف والقلق والترقُّب. ولعلَّ هذه الأسباب ذاتها هي التي كانت على الدوام تدفع المستشرقين للتحيُّزِ والغضب والتعصّب عندما يتعلقُ الأمرُ بالإسلام والمسلمين!! وإلا فبماذا نعللُ عدم غضب المستشرقين وتعصّبهم عندما تتعلق الدراسة بموضوعِ دينٍ آخر غير الإسلام، كالبوذية أو الشّنتوية أو الهندوسية مثلاً؟؟ نعم، لقد أنشأت الكنيسةُ المؤسساتِ الاستشراقيةَ وقدّمت لها الدّعم الكامل، وما ذلك إلاّ لتحارب الإسلام من خلالها وتطعن فيه على لسانها. "إنَّ

الدِّراسات الاستشراقيَّة الإسلاميّة مَا قامت أوّلَ ما قامت إلا بوحيٍ من الكنيسة الكاثوليكية خاصّةً للانتقاص من تعاليم الإسلام، وإهدار قيمه حرصاً على مذهب (الكثلكة) من جانبٍ، وتعويضاً عن الهزائم الصليبية المتلاحقة في تحرير بيت المقدس من جانبٍ آخر، ثم تبنَّى الاستعمارُ الغربيُ هذه الدراسات في الجامعات الغربية نفسها"[17].

ولعلَّ هذا الكلام لا يقعُ بعيداً عن رأي الدكتورة عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" التي أجابت عن الأسئلة حول نشأة الاستشراق بقولها: "فحينّ نسْألُ التاريخ عن حركة الاستشراق وكيف نشأت؟ يلقانا جوابُه الصّريح بأنّها أوّلَ ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثوليكيّة، وخضعتْ لإشرافٍ مُباشرٍ من كبار أحبارها"[18].

والسؤال الذي يطرحُ نفسه الآن هو إن كان المستشرقون من الرهبان الكاثوليك الأوائل قد تعمَّدوا مهاجمة الإسلام والطّعن فيه والبحث عن (عيوبه!) و(نقائصه!) و(تناقضاته!)، فعلى أيِّ شيءٍ في أُسس الإسلام وأركانه تمَّ الهجوم؟؟؟ والجواب على هذا السؤال طويلٌ ومُعَقَّدٌ، وهذا يتناسب تماماً مع طول وكثرة التفريعات والتعقيدات التي تفرّعت عنه، ولكنها في العموم تنضوي تحت الكلمات التالية: لقد تركَّز هجوم الاستشراق الديني الكاثوليكي في الإسلام على مصدريّته المتمثّلة في القرآن الكريم وسنّة رسول الله ﷺ وشخصه الكريم. ولم يكن تركيزُ الهجوم على هذه النواحي عبثاً بل لقد جاء عن دراسةٍ وعنايةٍ ودقّةِ اختيارٍ:

1. فالهجوم على رسول الله ﷺ كان بهدف هدم الصورة المثالية لشخصه وأفعاله في نفس وقلب كلِّ مُسلمٍ وزعزعة الثقة به، كيف لا وهو القدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر؟؟

2. أمّا الهجومُ على القرآن الكريم، فقد كان بهدف نزع مصدريّته الإلهية وذلك من خلال الزَّعم (السّخيف) بأنّه ذو مصادرَ بشريّةٍ متنوّعةٍ ومتضاربةٍ، وأنّ عقائده وتشريعاته كلّها إنما هي مَنْحُولةٌ من الأديان والمذاهب والملل التي كانت متواجدةً في شبه جزيرة العرب وبالذات المذاهب المسيحية المندثرة كالأبيونيّة[19] ،و الدوسيتيّة الغنوصيّة[20] الذين كانوا يتواجدون في بعض بقاع شبه الجزيرة العربية.

ومن الجدير ذكره في نهاية الحديث عن استهداف المستشرقين الرهبان للقرآن الكريم العبارة الشهيرة للمستشرق المبشّر (جون تاكلي)، وهي: "يجب أن نستخدمَ كتابهم وهو أمضى سلاحٍ في الإسلام ضدَّ الإسلام نفسه، لنقضيَ عليه تماماً. يجبُ أن ترى الناسُ أنَّ الصحيح في القرآن ليس جديداً وأنَّ الجديدَ فيه ليس صحيحا"[21].

ويمكننا في ختام الحديث عن هجوم المستشرقين الرهبان على مصدريّة الإسلام أن نستنتج أنّ المستشرقين إنما كانوا يستهدفون فكَّ التلازم الضروري في الإسلام بين القرآن والرسول الكريم والوحي في محاولةٍ منهم "للإضعاف التدريجي للاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الإضعاف من الانتقاص والاضمحلال الملازِم له، وأنّه سوف يُفضي بعد انتشاره في كلّ الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها"[22].

كانت تلك الجذور الأولى للاستشراق. وقد رأينا كم لعبَ الدينُ دوراً محوريّاً فيها، بدأ الاستشراق بمحاولة صدّ المسيحيين عن الدخول في الإسلام والحدّ من

انتشاره في القارّة الأوروبية، ثم تطوَّر ودخل مرحلة تشكيك المسلمين بدينهم ومصدريّة قرآنهم الكريم والسنّة الشريفة ورسمِ علامات الاستفهام حول شخصيّة وأخلاق وأعمال الحبيب المُصطفى، وتشويه صورته في عيون العالمين.

المطلب الثّاني القدِّيس(*)

يوحنّا الدمشقي صاحبُ أوّلِ مُؤلَّفٍ في الاستشراق الدِّيني

من المستحسن في بداية هذا المطلب التعريج على سيرة هذا القدِّيس المسيحي، وذلك لخطورة موقفه المتعلّق بالإسلام. ولما كان لأفكاره تلك من انعكاساتٍ وتأثيراتٍ كبيرةٍ على أفكار الرهبان الكاثوليك الذين اشتغلوا بالاستشراق الدِّيني، والمساهمة في صياغتهم لموقفٍ معادٍ تجاه الإسلام والرسول ﷺ، وأيضاً لأقدميّته في "وضع مؤلَّفٍ كاملٍ ضدَّ الإسلام وشخصية الرسول الكريم، وهو كتاب (De Haere Sbius) أو الهرطقات، الذي هاجم فيه الرسولَ محمداً شخصّياً ووصفه فيه باستغلاله الدّين لمصالحه الشخصيّة، كما ذكر فيه أنّ الراهب النسطوري بحيرا قد قام بمساعدته في كتابة القرآن. واتُّهِمَ الرسولُ باقتباسه بعضٍ من كتابات ورقة بن نوفل الذي كان- حسب زعم الدمشقيّ- قسّاً نسطوريّاً يترجمُ بعض الأناجيل المحرّفة إلى العربيّة"[23].

الاسم الحقيقيّ ليوحنّا الدّمشقي هو منصور بن سرجون بن منصور. وُلِدَ في دمشق حوالي عام 676 للميلاد، كان والده مسيحياً ذا نفوذٍ عند الأمويين، حيث كان يعمل في منصبٍ رفيعٍ في ماليّة الخلافة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان. "وقام والد يوحنا الدمشقي بالبحث عن معلّمٍ لابنه ليعلّمه أصول الدين المسيحي، فاختار عن طريق الصّدفة أحد الأسرى الذين تمّ القبضُ عليهم أثناء المدّ الإسلامي والمعارك على سواحل أوروبا، وكان اختيار والد الدمشقي لهذا الشخص من باب الشَّفقة، واستطاع أن يستعمل نفوذه لإطلاق سراح هذا السجين الذي كان اسمه كوسماس Cosmas، الذي ظهر فيما بعد أنه قسٌ

مشهورٌ من صقلية، وقام هذا القس بتعليم يوحنا الدمشقي أصول الديانة المسيحية"[24].

بعد وفاة والده، تولّى يوحنا الدمشقي منصب والده في خزانة الدولة، وأثناء فترة توليه المنصب "قام أحد البطاركة في كنيسة القسطنطينيّة بإصدار تعليماتٍ تمنع المسيحيين من تقديس صور المسيح أو مريم العذراء، ولم تعجب هذه الأفكارُ يوحنا الدمشقي الذي بدأ بكتابة رسائل ومخطوطاتٍ ضدّ هذا المرسوم، فقام الإمبراطور البيزنطي "ليو الثالث" بتقديم شكوى للخليفة الأمويّ، يدّعي فيها أنَّ الدمشقيَّ يحرِّضُ على ثورةٍ ضدّ الإمبراطورية. فقام الخليفة بعزله وقطع يديه. [وفي روايةٍ أخرى للحادثة نفسها أن الخليفة قطع واحدةً فقط من يديه]"[25]. وبعد تلك الحادثة اعتكف يوحنّا في صومعته بدير مار ساباء، وانكبَّ على الكتابة والتأليف، وكانت معظم مؤلفاته تتعلّق باللاهوت المسيحي، وكان من أشهرها وأخطرها على الإطلاق كتاب "الهرطقات "، وهو جزءٌ وفصلٌ من كتاب (ينبوع المعرفة)، وكتاب (جدالٌ بين مسلم ومسيحي) أو (جدال بين سرازاني ومسيحي)، أمّا كتابه الأول (الهرطقات)[26] والذي هو جزءٌ من كتاب (ينبوع المعرفة)، فكان "قد أفْرَدَ فيه فصلاً عن الإسلام أطلق عليه اسمَ (هرطقة الإسماعيليين)، ويقصد بالإسماعيلين العرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - وهذا الفصل شديد الطعن، اتَّهمَ فيه يوحنا العربَ بالهرطقة والضَّلال والخرافة، واعتبرهم فرقةً نصرانيةً مُتهرطِقةً، وزعم أنَّ محمداً كان رسولاً زائفاً ادَّعى النبوّة زمن الإمبراطور هرقل، بعد أن قَرَأَ العهد القديم والعهد الجديد وتعلّم من راهبٍ آريوسيٍّ، فتظاهر بالتقوى حتى استمالَ العربَ إليه، وأخبرهم أنه تلقَّى كتاباً من السماء، وقدّم فيه تلك الشرائع المضحكة - على حدِّ قوله - التي تُسمّى الإسلام. ومن التلفيقات التي وضعها يوحنّا في فصله هذا لتشويه صورة النبي

زعمه الكاذب أنَّ النبيَّ دخل إلى بيت زينب بنت جحش في غياب زوجها فافتتن بها وخرج وهو يقول سبحان مقلِّب القلوب... إلى آخر القصة التي تسرَّبتْ إلى بعض كتب التفسير، وأدرك ابنُ كثير زيفها فأعرض عن ذكرها في تفسيره وأشار إلى أنها ملفقة لا تصحُّ"[27].

وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى في الإسلام فلم يجدْ وسيلةً لتثبيت النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة وتشويه سيرة النبي ﷺ، لتكون صورته في نظر النصارى صورةً كريهةً حتى لا يُقْبلوا على اعتناق الإسلام. "وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد الدولة البيزنطية (دولة الروم) واستخدمه الكتَّابُ البيزنطيون في هجماتهم الفكرية على الإسلام، ثم تُرجِمَ إلى اللاتينية، وأسهم في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر"[28].

أمّا كتابه الثاني (جدال بين مسلمٍ ومسيحيٍّ)، فكانت الفكرة الأساسية التي يقوم عليها هي الدفاع عن تجسُّدِ الربّ في جسم المسيح، عليه السلام، ومهاجمة الفهم الإسلامي للقضاء والقدر.

أمّا عن كتابه الثالث (ينبوع الحكمة)، فقد كان موسوعةً لاهوتيّةً كتبها في أواخر أيام حياته، وقد ضمَّن هذا الكتاب فصلاً (أو جزءاً) عن الهرطقات (أو هرطقة الإسماعيليين كما سّماها)، كما ذكرنا، كما خصصّ الأجزاء الأخرى للحديث عن بعض التعريفات الفلسفيّة، وللحديث عن الإيمان المسيحي الآرثوذكسي.

وبالعودة للحديث عن (الهرطقات) فقد خصّص هذا اليوحنا الدمشقي الجزء، السابق ذكره، من كتابه للردّ على المسلمين ومجادلتهم، وقد ردّد جميعُ المجادلين ضد

الإسلام بعده بعضَ أو كلَّ قوالب الدمشقيّ هذه. ويمكننا تخليصُ رؤية يوحنا الدمشقي للإسلام ونبيِّه وكتابه فيما يلي[29]:

أ. التشكيك في كون الإسلام امتداداً لحنيفية إبراهيم، لذلك نراه يصف المسلمين على نحوٍ لا يخلو من الخبث بالسرازانيين، ويُعَدُّ أوّلَ كاتبٍ مسيحيٍّ يستخدم هذا التشويه لأغراض الجدل العنيف، كذلك يصف المسلمين بـ (المفسدين) وهي التسمية التي ستكثر في الجدليات التالية ليوحنا.

ب. يعالج الإسلام على أنه هرطقة مسيحية.

ج. يقدِّمُ الإسلام على أنه مُؤْذِنٌ بالمسيح الدجّال.

د. يجعلُ الرسولَ ﷺ أحدَ أتباع آريوس، كما يجعله على عقيدة المذهب النسطوري، وذلك بسبب تأكيده على أنَّ المسيح مخلوق وإنسان مجرد، وذلك ما قال به آريوس ونسطور.

هـ. يحصر ما جاء به النبي، ﷺ، في أمرين، أولهما: معرفته الضحلة بما قَلَّتْ قيمته من أسفار العهدين القديم والجديد اللذين وقعَ عليهما النبيُّ ﷺ مُصادَفةً.والثاني: ما أخذه النبي، ﷺ، عن الراهب الآريوسي (بحيرا).

و. القرآن نِتاجٌ لأحلام اليقَظَة؛ لأنَّ الرسول، ﷺ، تلقَّاه وهو نائم.

إنّ مقارنةً بسيطةً نعقدُها بين ما كتبه يوحنا الدمشقي عن الإسلام، وبين ما كتبه كثيرٌ من المؤرخين الذين عَملوا في الاستشراق الدِّينيّ تكشفُ لنا وبسهولةٍ عن مدى التشابه الكبير والواضح في مضامين كتبِ كلٍّ منهم، وهذا يدعونا للاعتقاد بأنّهم أخذوا عنه جُلَّ ما كتبوه عن الإسلام ورسوله الكريم ﷺ...

هكذا ردّ يوحنّا الدمشقيُّ الجميلَ للمُسلمين الذين احتضنوه واحتضنوا والده وجدّه من قبله ووظّفوه في واحدةٍ من كبريات مؤسّساتهم وجعلوه من كبار موظفي بلاط الخلافة الأموي!!

لقد دشّنَ هذا (القدّيسُ) حملات الافتراء الاستشراقية على الإسلام ورسوله، ليس بعد الحروب الصليبيّة، وإنما قبلها بمئات السنوات فكان بامتيازٍ، وبلا منازعٍ، من أوائل - إن لم يكن أولَ مَن- سلكوا هذا الدرب.

المطلب الثالث بُطرسُ المُبَجَّلُ
ومَجمُوعَةُ دير كلوني أوَّلُ كَتيبةٍ دينيّةٍ استشراقيّةٍ

تقدَّم فيما سبق الحديثُ عن نشأة الاستشراق، وعن الطبيعة الدينيّة التي اتَّصفَ بها. كما تقدّم الحديثُ عن أنّ الكنيسة إنما أنشأت المؤسّسة الاستشراقية، وقامت بتقديم الدّعم الكامل لها، لتكونَ واحدةً من أدواتها في محاربة الإسلام عقديّاً وفكريّاً، بهدف الصدِّ عنه والحدِّ من انتشاره في القارّة الأوروبيّة. وقد تسنّى للكنيسة تحقيقُ هذا الهدف، من خلال رهبانها الذين عكفوا على دراسة الإسلام ومصادره، وعلى رأسها القرآن الكريم وذلك في محاولةٍ منهم للبحث عن تناقضاتٍ وعيوبٍ ونقائصَ تُثبتُ بشريّة وضعه وتُبطلُ القول بإلهيّة مصدره. وقد كان أبرز مَنْ تصدّى لذلك الراهب "بيرموريس دي مونتبوسيير"، الذي اشتُهِرَ في التاريخ باسم بطرس المبُجَّل (أو المحترم / المكرَّم)؛ حيث قدَّم للعالم المسيحي الغربي آنذاك مشروعين هامّين جدّاً، كان لهما كبير الأثر في التأسيس للاستشراق الدِّينيّ وخَلقِ الجدل العدواني العنيف ضد الإسلام، وتشويه صورة القرآن الكريم والمعتقدات الإسلامية في عيون الدارسين لها من الأجيال اللاحقة. وهذان المشروعان هما:

1. الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينيّة.
2. ترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها.

وقد شرع بطرس المبجّل في تنفيذ هذين المشروعين (أو بالأصحّ الإشراف عليهما بنفسه) بعد تولّيه رئاسة دير كلوني[30] الذي كان واحداً من أشهر الأديرة في أوروبا وأكثرها نفوذاً على الإطلاق....

كانت فكرة عقد مناقشةٍ فكريّةٍ مع الإسلام تتردّد في عقل بطرس المبجّل بين الفينة والأُخرى، ولكنّها اختمرت واكتملت عندما كان في إحدى جولاته التفقديّة للأديرة البندكتية التابعة لديركلوني في إسبانيا عام 1142م. والذي شجّعه على المضيّ قدماً في هذه الفكرة أنّه التقى ببعض الرهبان الكاثوليك الذين يَعرفون اللغة العربية (لغة القرآن ومحمد ﷺ)" ممّا يُسَهِّلُ ـ حسْبَ ظنِّه ـ عمليّة محاجّة الإسلام والمسلمين في حال تَمَّتْ ترجمةُ قرآنهم وتشريعاتهم إلى اللغة التي يجيدها الرهبان ويتكلّمون بها.

وعلى خلاف الكثيرين من الرهبان آنذاك، كان بطرس المبجَّلُ يدعو للمواجهة الفكرية العقديّة السلميّة القائمة على الحوار في مواجهة الإسلام وبعيداً عن المواجهات العسكرية الحربية المُسلّحة (بعد أن أثبتت التجربةُ فشَلها طبعاً)، وقد كان يدعو على الدوام لمواجهة الإسلام بوصفه هرطقةً يجبُ دحضُها. ولكنّ الذي يختلفُ عنده عن غيره هو الشكل الذي اختاره لهذه المواجهة؛ فقد نادى بأن تكون غيرَ عسكريةٍ. ولكنّ هذه الفكرة (ترجمة القرآن لبيان كذبه وتناقضاته) التي اقترحها بطرس المبجَّلُ لم تَرُقْ للكنيسة الكاثوليكية، ولم ترُق للرهبان الفرنسيين والإسبان آنذاك، ممّا اضطرَّ بطرس المبجّل لتقديم المبرّرات والدوافع التي أدّت به إلى الإقدام على مثل هذا النوع من الأعمال فقال: "إذا بدا أنَّ العمل الذي أدعو له غيرُ ضروري الآن، لأنَّ العدو لن يتأثر بهذا السلاح، أجيبُ أنَّ بعض الأعمال التي تجري في مجال سُلطة الملك الأفخم إنما تتمُّ من أجل ضرورات الدفاع، أمَّا بعضُها الآخر فليس له غيرُ مهمةٍ تزيينيةٍ، والباقي يجري

للمستقبل لا للحاضر. فسُليمانُ المحبُّ للسلام كان يصنع سلاحاً لم يُستغَلْ في أيامه، وداودُ أمرَ بصنع زخارف للهيكل رغم عدم تَبَيُّن مِعاصريه فائدةَ مثل هذا العمل. وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يمكن بهذه الطريقة إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقلَّ مِن أن يستفيد العلماءُ المسيحيون مِنْ عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السُّذّجِ الذين يمكن أن تضيرَ هذه الصغائرُ عقيدتهم"[31].

لقد كان بطرس يرى في الإسلام "هرطقةً مسيحيةً" هي آخر الهرطقات وأشدُّها ضرراً. ويعتقد أنَّ التحدّي الإسلامي لم يجد إجابةً مسيحيةً مناسبةً حتَّى أيامه، ولهذا رأى أنه من الضروري مواجهة هذه (الهرطقة) التي شكّلت، بزعمه، الأصلَ والمنبعَ لكل الهرطقات التي كانت تغزو المسيحية الأوروبية التقليدية آنذاك، فإذا كان الإسلام لا يشكّلُ خطراً عسكرياً مباشراً، فلا شك أنه شديد الخطورة فكرياً، لذا لا بد من التعرّف عليه لِتُمكِنَ مكافحته. وواضحٌ من كلامه السابق أنّه إنما كان يطمعُ في إعادة المسلمين (الهراطقة بنظره) إلى المسيحيّة الصحيحة، كما كان يرى في هذه الترجمة دفاعاً عن المسيحية ضدّ العقائد الإسلامية المُضرَّة التي لربّما تؤثّرُ على معتقدات بعض المسيحيين السُّذَّج غير المتمكّنين من دينهم كما ينبغي. وعلى كلٍّ، فقد مضى هذا الراهب بطرس في تنفيذ فكرته وإخراجها إلى حيّزِ الوجود، متجاهلاً كلَّ اعتراضات الرهبان على وجود مثل هذا النوع من الترجمة، فالتقى في إسبانيا براهبينِ زائرينِ هما: روبرت ألكتوني الإنكليزي، وهرمان دلماتا." وكان الراهبان المذكوران ينقّبان عن نصوص في الرياضيات وعلم الفلك، لكنَّ بطرس أقنعهما بالتعاون معه في مشروعٍ لترجمة أهمّ المخطوطات الإسلامية. وهكذا عمل روبرت وهرمان سويةً مع مسيحيٍّ إسبانيٍّ يُدعى بطرس الطليطلي، وشخص مسلمٍ يُدعى محمد السراساني،

وأنتج هؤلاء مجتمعين سلسلةً من الوثائق التي ظلّت على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية على صعيد فهم الغرب للإسلام حتى القرن السادس عشر. فكانت هناك ترجمةٌ للقرآن، وتاريخٌ للعالم من وجهة النظر الإسلامية، وعرضٌ لتعاليم محمد، ومجموعةٌ من الحكايا الشعبية والخرافية الإسلامية، وعملٌ مبكرٌ من أعمال اللاهوت الجدلي ضد الإسلام بعنوان "اعتذار الكندي". والذي يهمّنا ويعنينا في هذه الأعمال هو ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينيّة، وترجمة الرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها والتي سمَّتها آرمسترونج "اعتذار الكندي"[32] في النّصِّ السّابق. "وقد عَلِمَ روبرت ألكيتوني من بطرس المبجّل أنّ هدفه تعريف الغرب النصرانيّ بالإسلام الذي يعتبرهُ هرطقةً من الهرطقات الكبرى التي هدّدت النصرانية، وأنَّ بطرس ينوي الردَّ على الإسلام، لذلك قام روبرت ألكيتوني بترجمةٍ خاطئةٍ مُغرضةٍ لمعاني القرآن الكريم، كان لها تأثيرٌ سيءٌ في صياغة تلك العقيدة الغربية الحاقدة تجاه الإسلام ونبيّه محمّد"[33].

ومن الأمانة القول: لقد أثارت ترجمة روبرت ألكيتوني للقرآن الكريم إلى اللغة اللاتينيّة بأمرٍ من بطرس المبجّل استياء معظم المؤرّخين المسيحيين المعاصرين الذين كتبوا عن أوروبا وتاريخها في العصور الوسطى، فأفردوا صفحاتٍ من كتبهم للحديث عنها وعن مساوئها والمآخذ عليها. وتكاد المعلومات والملاحظات التي ذكروها تتطابقُ- بالرغم من تعدُّد المصادر القديمة التي أخذوا منها ونقلوا عنها- ممّا يؤكّدُ صحّة القول بتعمُّد بطرس المبجّل وروبرت ألكتوني إخراج ترجمة مشوّهةٍ مقصودةٍ للقرآن الكريم. وممّا يؤكدُ كذلك على أنّ هؤلاء المتأخرين كانوا مُحقّين في توجيههم الانتقادات لتلك الترجمة ولتشويهات روبرت ألكيتوني فيها، ومن ذلك[34]:

1. أنّ المترجِمَ روبرت الكيتوني قد غيَّر ترتيب السور القرآنية، وجاء بترتيبٍ جديدٍ لها، وقام بتقسيم بعض السِّور القرآنية الطويلة إلى مجموعةٍ من السِّور القصيرة، وبذلك وَصَلَ عدد السور القرآنية في ترجمته إلى مائةٍ وثلاثٍ عشرين سورةً بدلاً من مائةٍ وأربع عشرة سورة؟!!.

2. لم يُدخل سورةَ الفاتحة في إحصائه للسِّور القرآنية، حيث اعتبرها مجرَّدَ دعاءٍ تمهيديٍّ يُتلى قبل الشروع في تلاوة القرآن، وهو بذلك قد قاسها على الدُّعاء المسيحي (أبانا الذي في السموات...).

3. الترجمة الخاطئة لكلمة (وجيهاً) التي وردت في الآية 45 من سورة آل عمران (إذا قالت الملائكةُ يا مريمُ إنّ الله يبشّرك بكلمةٍ منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقرَّبين) فقد قرأ الكيتوني كلمة وجيهاً على أنها وجهٌ، وبناءً على ذلك عبَّرَ عنها بكلمة (Facies).

4. في ترجمته لبعض الآيات تعبيرٌ عن مدى الانحطاط والدّونية، وغيابٌ لأدنى درجات الأمانة العلمية؛ ويشهدُ على ذلك ترجمته للآية 14 من سورة آل عمرآن (زُيِّنَ للناسِ حُبُّ الشهوات من النِّساءِ والبنين... الآية) فقد ترجمها بمعنى مجامعة الأبناء ومعانقتهم!!!.

5. في ترجمته لسورة الهُمَزة، ترجم قوله تعالى (يحسَبُ أنّ ماله أخلده) بمعنى إنّ الذي يُخلِّدُه هو ماله!!! والسبب في ذلك أنّه في ترجمته قد حذفَ كلمة (يحسبُ) فأعطتِ الترجمةُ عكسَ المعنى المراد من الآية الكريمة!!!.

6. حين ترجم روبرت ألكتوني كلمات سورة الغاشية: (فذكِّر إنما أنت مُذكِّرٌ. لستَ عليهم بمسيطرٍ)، انتقل الشارح هنا على حين غرّةٍ إلى الهجوم على النبيّ محمدٍ على نحوٍ يدعو للاستغراب، فقال: فلم تُعلِّمُ إذن أنَّ هديَ الناس إلى دينك يجب أن يتم بحدِّ السيف؟ إذا كُنتَ مذكِّراً ولست بمسيطرٍ، فلِمَ

تُخضِعُ الناس بالقوة لكأنها الحيوانات أو الوحوش الضارية، وليس بالحجَّة مثل الآدميين؟ إنك مثل الكذّاب، تناقضُ الحقيقةَ بنفسك في كل شي!!.

7. أعطى معنى غامضاً لخطاب (يا أهل الكتاب)، وجعله يبدو في معظم الأحيان وكأنه موجَّهٌ إلى المسلمين.

8. أضفى على كل الآيات المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق معاني جنسيةً داعرةً بحيث تبدو للقارئ الغربيّ، لا سيما الرهبان، مثيرةً للاشمئزاز والنفور، مثل:

أ. الآية 220 من سورة البقرة (.... ويسألونك عن اليتامى قل إصلاحٌ لهم خيرٌ، وإن تخالطوهم فإخوانكم في الدين) ترجم تخالطوهم بمعنى تمارسوا معهم اللواط!!.

ب. الآية 223 من سورة البقرة (نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) ترجمها بمعنى "فأتوهن في أدبارهن"!!.

ج. الآية 50 من سورة الأحزاب (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك... الآية) ترجمها هكذا "نحن نجيزُ لك أزواجك اللائي آتيتهنَّ مهورهنَّ، وجميع إمائك اللائي أعطاكهنّ اللهُ، وبنات عمك، وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك، اللائي اتبعنك، وكل امرأةٍ مؤمنةٍ إذا هي ترغب أن تقدّم جسدها أو نفسها للرسول، وإذا الرسول يرغب أن يضطجع معها فليفعل، وهذا خاصٌ لك وليس للمؤمنين الآخرين"!!.

إذاً، لم يكن روبرت ألكيتوني يتمتَّع ولو بأدنى درجات الإحساس أو الأمانة العلميّين، حيث أغفل ترجمة العديد من المفردات ولم يتقيّد بأصل السِّياق ولم يُقم وزناً لخصوصيات الأسلوب القرآني، بل بذل مجهوده (المنثور هباءً) على استشفاف مضمون مقصود أو فكرة كلِّ آيةٍ من كلِّ سورةٍ ثم ترجمها حسبما يلائمُ

فهمه وهواه!!! وقد كان قدوته في ذلك الراهب بطرس المبجّل، الذي دفع له أجراً مجزياً ليقوم بمثل هذا النوع من الترجمة، "فقد كان بطرس المبجل عندَ مهاجمته للقرآن الكريم أمام الرهبان والعوام من المسيحيين يقوم بانتزاع آياتٍ من بعض السِّور القرآنية ويعزلها عن سياقها ويفسِّرها على هواه؛ ومن ذلك تعليقهُ على قوله تعالى في الآية العشرين من سورة آل عمران (فإن حاجّوك فقُلْ أسلمتُ وجهيَ لله ومَن اتّبعنِ) بقوله: "ثمَّ ما هذا؟ إذا شاء أحدُهم أن يُحاجِجَكَ، تقولُ إنك تسلّم وجهك ووجوه التابعين لك إلى ربّ العالمين. أيا محمد... إذا أبيتَ الردَّ فيما خلا أنك توجّه وجهَك ووجوه أتباعك لله، فهل أصدِّق أنَّ ما تقولهُ صحيح؟ هل أصدّق أنك نبيُ الله حقاً؟ وهل أصدّق أنَّ الدين الذي نقلتَهُ إلى قومك سُلِّم إليك من ربّ السماء؟ سأكون بالحقيقة أكثرَ من حمارٍ لو وافقتُكَ؛ وسأكون حتماً أكثر من سائمةٍ لو سلّمتُ معك"[35].

ولعلَّ ما نراه فاجعةً وطامّةً كبرى فيما يتعلقُ بهذه الترجمة، إضافةً لمضمونها وأهدافها، هو أنّها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثرَ استعمالاً، وعليها تقومُ أقدمُ ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولنديّة. "ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينيّة لروبرت ألكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مرّاتشي إزاحةً نهائيّةً إلاّ في عام 1698م، إذ كانت هذه أفضلَ وأكثرَ دقّةً بما لا يُقاس"[36]. والعجيبُ المضحكُ في موضوع هذه الترجمة المشوّهة المليئة بالأغلاط، أنّ الكنيسة الكاثوليكية رأتْ أنّ هذا النوع من الترجمات "قد أدّى إلى التعرُّف على بعض حقائق الإسلام، ممّا دفع البابا الاسكندر السابع لأن يُصدر قراراً بتحريم ترجمة القرآن ونشره بل وإحراق نُسخه"[37]. وبناءً على تحريمات الكنيسة السابقة "بقيت ترجمة بطرس المبجل حبيسةَ محفوظات دير كلوني ولم يُفرج عنها إلاّ بعد أربعة قرون"[38].

وبالعودة للحديث عن هذه الترجمة المشوّهة التي خرجت بأمرٍ ودعمٍ من بطرس المبجّل نقول: إنّ دور المترجم الآخر المساعد لروبرت ألكيتوني وهو الراهب "هرمان دلماتا"، اقتصرَ على ترجمة بعض المقالات المناهضة للإسلام وضمّها إلى كتاب الترجمة ألكيتوني، هذا إضافةً لقيام دلماتا بكتابة ما يزيدُ عن خمسٍ وأربعين صفحةً "تطعنُ كلُّها في مبادئ الإسلام وحياة النبي محمدٍ ﷺ وتاريخ الإسلام، وتصفه بِـ "التاريخ المُضحك". وكان مرجعه في ذلك كلّه القصص والمحاورات المدسوسة الملفّقة المزعومة بين أحبار اليهود والنبي ﷺ، والمنشورة في الغرب تحت عنوان (Doctrina Mahumet). وهي ذاتها الإسرائيليات المشهورة عند المسلمين باسم "مسائل عبد الله بن سلام". وكانت خلاصة ما كتبه هذا الراهب هرمان دلماتا عن الإسلام ما يلي:[39]

1. مبادئ محمد (أو "تعاليم محمد" حسب بعض الترجمات).
2. التاريخ الوهمي والمضحك للمسلمين.
3. أمّةُ محمدٍ ونشوزها.

وعلى أساس هذه الأعمال والترجمات- إضافةً للرسالة الإسلامية والجواب المسيحي عليها - صنَّفَ بطرسُ المبجَّلُ الأعمال الجدليّة التي هاجم فيها الإسلام، وأبرزها كتاب دحض العقيدة الإسلامية (Liber Contra Sectam Sive Haeresim Saracenorum). وقد انبرى الأستاذ علي بن محمد عودة لتحليل هذا الكتاب، ولعرض أبرز ما ورد في فصوله، وعَرَضَ مقتطفاتٍ مختصرةً منه، وقبل عرض هذه المقتطفات نذكِّرُ بأنّ الكتاب المذكور كان يتكون من ستة فصولٍ هي:

أ. الرب، المسيح، ويوم الحساب.

ب. النبي محمد.

ج. القرآن ومصادره.

د. الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية.

هـ. انتشار الإسلام.

و. الإسلام بوصفه هرطقةً مسيحيةً.

وكان مِمّا جاء في عَرْضِ الأستاذ عودة للكتاب ما يلي: "بعد أن عَرَضَ، بتهكُّمٍ، مشاهدَ يوم القيامة التي انفردَ بها القرآنُ ولا توجدُ عندهم في كتبهم المقدسة قال [بطرس المبجل]: "إلى هذا الحدّ الفعليّ Mahumet (محمد) القذر الشرير علَّمَ أتباعه إنكار جميع أسرار الدين المسيحي، وحَكَمَ تقريباً على ثلث الجنس البشري بعدم معرفة يوم الدينونة للرب، بواسطة حكاياتٍ مجنونةٍ يهذي بما لم يُسمع بمثلها استجابةً لإبليس والهلاك السرمدي"[40]. ثم يقدِّمُ في مجمله مختصراً مشوَّهاً لسيرة النبي إلى أن يقول [بطرس المبجّل]: "هكذا كان Mahumet (محمد) ناشطاً جداً في الشؤون العالمية، وذكياً إلى أبعد حدٍّ، هو انبثقَ من الأصل الوضيع، والفقر إلى الغِنى والشّهرة، ونهض بنفسه إلى أعلى شيئاً فشيئاً، وتكراراً هاجم كلَّ أولئك الذين كانوا بجواره، وكان بشكلٍ بارزٍ يضمُّ إليه الأقرباء بالخداع والسلب، والغزوات، قاتلاً أيَّ شخصٍ غيلةً إن استطاع. هو ازداد رعباً بواسطة اسمه، وفي الوقت المناسب وصل إلى القمة بالنزاعات. ثم بدأ يطمح إلى منصب الملك على شعبه، ولمّا كان يدركُ أنه لا يستطيع أن يحقّقَ هذه الرغبة بسبب أصله الوضيع، قرَّرَ أن يصبح ملكاً عن طريق السيف، وتحت قناع الدين وبواسطة الاسم [رسول الله]"[41]. ثم يتناول في مجمله القرآن ويرفض بشدّةٍ نبوَّةَ محمدٍ ويزعم أنَّ القرآن له مصادر هي: إبليس، وسرجيوس (نسطوريوس) وبحيرا... إلى أن يقول [بطرس المبجّل] ما نصُّهُ: "هكذا عُلِّمَ محمّدٌ من جانب أحسن علماء اللاهوت

البارزين، والمتهرطقين، فأنتجوا قرآنه، ونسجوا معاً، في ذلك الشكل غير الفصيح، له كتاباً مقدَّساً شيطانياً، صُنِّف على حدٍّ سواءٍ من الخرافات اليهودية والأغاني العابثة للهراطقة، [مدّعياً] كاذباً أن هذه المجموعة جُلبت إليه سورةً وراء سورةٍ بواسطة جبريل، الذي عرَفَ اسمه من الكتاب المقدس في ذلك الوقت، هو [محمد ﷺ] أفسدَ بِسُمٍّ مُهلكٍ ذلك الشعب الذي لم يعرف الرب. وفي سلوك هذا المفُسدِ أن جعل في حوافِّ القدح المملوء بالعسل السمَّ المهلكَ الذي يتسرب معه، هو (محمد) حطَّم، واحسرتاه، الأرواحَ والأجساد لذلك الشعب البائس. ذلك الرجل، أثنى على الشريعة المسيحية واليهودية، والشرير مع ذلك يقتبس منها ويرفضها في الوقت نفسه"[42].

وبعد ذلك يتناول بطرس المكرَّم، الجنة والنار، والتعاليم الأخلاقية، ويهاجم التصوير القرآنيَّ للجنة والنار فيقول: "محمدٌ يصفُ عذاب جهنم كأنها تَسرُّه حتى يصفها، وكأنه كان ملائماً لرسولٍ زائفٍ كبيرٍ أن يخترع تلك الأوصاف. وهو يصور جنّةً ليست من مجتمعٍ ملائكيّ، ولا من تَجَلّي الرب، ولا من ذلك الخير الأعلى، الذي لا عينَ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشرٍ...، بل في هذه الطريقة هو وَصَفَهَا مثلما هو رَغِبَها أن تكون مُعدَّةً لنفسه، هو يَعِدُ أتباعه هناك بالأكل من اللحم، وكل أنواع الثمرات، هناك أنهار من اللبن والعسل والمياه المتدفقة. هناك العناق والإشباع الشهواني من النساء العذارى الأجمل، فيها أشياء كثيرة، جَنَّتُهُ كلُّها حسّيةٌ. ثم يتناول بطرس المكرم تعددَ الزوجات في الإسلام باعتباره عملاً من أعمال الزنى وفق المنظور الرهباني"[43].

ثم يعود بطرس المبجل للهجوم البذيء على النبيّ، فيقول: "وبالإضافة إلى كل هذه الأشياء، هو استطاعَ أن يجتذب إليه الرغبات الشهوانية للرجال، حيث أطلقَ لهم الأعنّة للنهم والتلوث. هو نفسه كان له في ذات الوقت ستةَ عشرَ

زوجةً... مقترفاً الزنى كأنه شرطٌ بواسطة الأمر الإلهي، وبذلك أضاف إلى نفسه عدداً ضخماً من الناس المحكوم عليهم بالهلاك السرمدي"[44].

ونرى في نهاية ذكرنا لكلمات هذا الراهب الحاقد بطرس المبجّل أنّ هذا البطرس لم يكن مُبجَّلاً البتّة، بل على العكس من ذلك، فمن الواضح أنّ مجموعته من الرهبان المترجمين كانوا يعانون من أزماتٍ أخلاقيةٍ ونفسيّةٍ نجمت عن الضّغط والقلق والرعب الذي كان الإسلام يسبِّبُهُ لهم وللكنيسة الكاثوليكية التي كانت ترعاهم، فما كان منهم إلاّ أن قاموا بتجميع تلفيقاتهم وتزويراتهم وترجماتهم المغلوطة المشوّهة المكذوبة فيما سُمّيَ بـ (المجموعة الطليطلّية) أو (فيلق كلوني) وهي المجموعة، لعظيم الأسف التي صارت المصدر الرئيسي للأوروبيين في استقائهم المعلومات والمعطيات عن الدين الإسلامي على مدى خمسمائة عامٍ تقريباً!!!.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

1- إنّ نشأة الاستشراق كانت دينيّةَ الدافع، وكانت الكنيسةُ الكاثوليكيّة ورهبانها المحرّكَ والدّاعم له، وذلك في واحدٍ من فصول حربها المُعلَنة ضدَّ الإسلام والمُسلمين، تلكمُ هي الحربُ الإعلاميّة التضليليّة التي اختارتها الكنيسة ولجأ إليها رجالها بعد العجز المُبين لهم ولجيوشهم الصليبيّة أمام الآلة العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى.

2- إنّ الدراسات الاستشراقية الدينيّة التي نشأت في الشرق إنما كانت الأساس والأرضية التي بُنيت عليها الآراء والدراسات الاستشراقية الغربية فيما بعد. ويشهدُ لصحّة هذا الكلام بناءُ الكثير من المستشرقين الغربيين لكتاباتهم ضدّ الإسلام على أعمال ومؤلّفات يوحنّا الدمشقي، كما يشهدُ لصحّة هذا الكلام بناءُ بطرس المبجَّل لأعماله ومؤلّفاته ضدّ الإسلام عليها، ويشهدُ لصحّة هذا الكلام كذلك أنّ شّبهات وأباطيل المستشرقين المتعلّقة بالإسلام التي وردت في هذه الدراسات الناشئة في الشرق هي عينُها الشبهات والأباطيل حول الإسلام التي وردت في الدراسات الاستشراقية الغربيّة للإسلام والتي لا زالت تتردّد على مسامعنا بين الفينة والأخرى حتى يومنا هذا.

3- يُعتبرُ يوحَنّا الدمشقي (منصور بن سرجون بن منصور) من أوائل الذين أَلَّفُوا كتباً تتّهمُ المسلمين بالهرطقة والضَّلال وتتهمُّ الرسول ﷺ بالزّيف وادّعاء النبوّة وكان هدف يوحنا الدمشقي من ذلك التشويه، تحصين النصارى من أهل الذمة والحيلولة بينهم في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح المسلمين مع أهل الذمة، ودخول كثير من النصارى في الإسلام فلم يجد وسيلة لتثبيت

النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة وتشويه سيرة النبي، لتكون صورته في نظر النصارى صورةً كريهةً حتى لا يُقْبلوا على اعتناق الإسلام. وقد انتشرت كتُبُهُ في بلاد الدولة البيزنطية (دولة الروم) واستخدمها الكُتَّابُ البيزنطيون في هجماتهم الفكرية على الإسلام. ثم تُرجِمَت إلى اللاتينية وأسهمت في صياغة العقيدة الغربية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى وحتى العصر الحاضر. وقد ردَّد جميع المجادلين ضدّ الإسلام بعدَه بعضَ أو كلَّ قوالبه.

4- كانت البداية الحقيقيّة للاستشراق على المستوى الفرديّ في الغرب على يد الراهب الكاثوليكي الفرنسي جربردي أولياك الذي انتُخِبَ لاحقاً حبراً أعظم لكنيسة روما وحمل لقب سلفستر الثاني في العام 999م. كان هذا الراهب أولَ المشتغلين بعلوم الشَّرق.

5- كانت البداية الرسمية للاستشراق في المجمع الكنسيّ المُنْعَقِدِ في فينّا بين عامي 1311 و1312 للميلاد والذي نصَّ قانونُه رقم (11) على تدريس اللغات الشرقية في أكبر خمس جامعاتٍ أوروبيةٍ آنذاك، كما نصَّ على تخصيص مدرِّسَين كاثوليكيين لكلِّ واحدةٍ من هذه الجامعات الكبرى ليقوما بتدريس اللغة العربية.

6- يُعتبَرُ بطرس المبجَّلُ رئيس ديركلوني أوَّلَ مَن وضعَ ترجمةً لاتينيةً للقرآن وكلَّف بذلك فريقَ عملٍ مكوّناً من الراهبين روبرت الكيتوني ومساعده هرمان دلماتا، وقد تقصَّد فيها التشويه والتحريف والمغالطة. ولعلَّ ما نراه فاجعةً وطامّةً كبرى فيما يتعلقُ بهذه الترجمة، إضافةً لمضمونها وأهدافها، هو أنّها ظلّت طوال خمسة قرونٍ الأكثرَ استعمالاً وعليها تقومُ أقدم ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولنديّة. ولم تجرِ إزاحة ترجمة القرآن اللاتينيّة لروبرت الكيتوني بسبب ترجمة الإيطالي لودفيكو مرّاتشي إزاحةً نهائيّةً إلاّ في عام 1698م.

7- كان الاستشراق الدِّينيُّ وبكل مدلولاته ومضامينه مهنةً ملوّثةً، لأنها قامت من بدايتها على قلب الحقائق وتشويه الوقائع واستخدام كلِّ وسيلةٍ ممكنةٍ لمحاربة القرآن الكريم والحبيب المصطفى ﷺ وللقضاء على كلِّ ما جاء به هذا الإسلام العظيم.

الهوامش

1- العصور الوسطى: يشار إلى هذه الفترة المبكرة بأنها العصور المظلمة، كانت القرون الأولى من العصور الوسطى، خاصة من القرن الخامس إلى أواخر القرن العاشر الميلاديين أقرب إلى أن تكون مظلمة، حيث أصيبت حضارة غربي أوروبا بالانحطاط، ولم يتبق من حضارة الرومان القدامى سوى ما بقي في قلة قليلة من مدارس الأديرة والكاتدرائيات والبلاط والقصور الملكية. أما العلوم التي نقلت عن اليونانيين فقد اندثرت تقريباً وكان الذين تلقوا علماً فئة قليلة من الناس، كما ضاع الكثير من المهارات الفنية والتقنية القديمة، وأمسى العلماء في جهلهم، يتقبلون الحكايات الشعبية والشائعات على أنها حقيقة.

2- الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة اسم يطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون في أواخر القرن الحادي عشر إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096 – 1291)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسُمِّيت بهذا الاسم لأن الذين اشتركوا فيها تواروا تحت رداء الدين المسيحي وشعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لهدفهم الرئيسي وهو الاستيلاء على أرض المشرق في الوقت الذي كان فيه الشرق منبع الثروات ولذلك كانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

3- كلمة الاسْتشرَاق مأخوذة ومشتقَّة من كلمة الشَرْق، والشرق والمشرق بكسر الراء وهو الأكثر، وبالفتح وهو القياس ولكنَّه قليل الاستعمال ـ اسم الموضع، أيّ جهة شروق الشمس، فكلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق)، وهي تعني ناحية شروق الشمس. والسين في الكلمة للطلب، أي طلب ما في الشرق. والاستشراق في الإصطلاح يطلقُ على تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها

بعض مفكريّ الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه. فالاستشراق: هو علم يدرس لغات الشرق ودينه وتراثه وحضارته ومجتمعاته وماضيه وحاضره.

4- انظر:

أ. الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، الإسلام والغرب، دراسات في نقد الاستشراق، ص 14، ط1، 2004، دار المناهج، عمّان، بتصرف.

ب. زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 18، بلا تاريخ نشر ولا رقم طبعة، دار المعارف، القاهرة.

5- الجليند، محمد السيّد، الاستشراق والتبشير قراءة تاريخيّة موجزة، ص 12، 13، ط1، 1991، دار قباء، القاهرة.

6- المرجع السابق نفسه، ص 13.

7- سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة رضوان السيّد، ص 86،ط1984،1، من منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت.

8- عبد الحميد، عرفان، المستشرقون و الإسلام،ص بتصرّف،ط1969،1،مطبعة الإرشاد، بغداد.

9- الفكر الرؤيوي: تُطلَقُ كلمة "الرؤيا" في الكتاب المقدّس بصورة عامّة على الاعتقاد بنهاية العالم، والتنبؤ بأحداث نهاية الزمان. وقد ذكرَ قاموسُ الكتاب المقدّس "أنَّ كلمة الرؤيا إنما تُستعَملُ لمعنيين، هما: الإعلان الإلهي، والحلم في المنام. والواقع أنهما معنى واحدٌ لأنّ الله يستخدمُ كليهما لإعلان إرادته وحُكمه". وقد عرَّف الدكتور فؤاد شعبان الرؤيا بأنّها "تعبيرٌ مشتقٌّ من كلمةٍ في اللغة اليونانية هي (Apocalypse)، وتعني الوحيَ أو الكشفَ عن المُستقبل". أمّا

الرؤيويّة "فهي قطعةٌ أدبيةٌ مكتوبةٌ، تحتوي أساساً على مقولاتٍ رؤيويةٍ؛ مقولات حول "الأشياء الأخيرة"، التي تمسُّ المصير الأخير والنهائي للإنسان الفرد وللعالم بأسره، وفي الإغريقية، الرؤيوية هي علم الأشياء الأخيرة".

10- سعيد، إدوارد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو ديب، ص 101، ط1، 1981م، من منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

11- انظر:

أ. عريبي، محمد ياسين، الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص 137، ط1، 1991م، من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.

ب. الجليند، [م. س]، ص 11.

ج. زقزوق، [م. س]، ص 20.

د. العقيقي، نجيب، المستشرقون، الجزء 12 الصفحة 1 فما بعدها، ط3، 1964م، دار المعارف، القاهرة.

12- سيأتي تعريفه لاحقاً.

13- جورافسكي، إليكسي،الإسلام و المسيحية من التنافس و التصادم إلى الحوار و التفاهم، ترجمة خلف محمد الجراد، ص 79،2005،دار الفكر،بيروت.

14- المرجع السابق نفسه، ص 79.

15- انظر:

أ. سعيد، [م. س]، ص 80.

ب. زقزوق، [م. س]، ص 18.

ج. عبد المحسن، عبد الراضي محمد،الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، ص 41،بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم و علومه،منشور في موقع المفكرة الدّعوية الإلكتروني.

16- عبد المحسن، [م. س]، ص 41.

17- البهي محمد، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص 9، 10، ط3، مكتبة وهبة.

18- انظر: تراثنا بين ماضٍ وحاضر ص 52، طبعة عام 1968، من منشورات معهد البحوث والدراسات العربيّة.

19- الأبيونيون: طائفة مسيحية قريبة الشبه باليهودية من حيث استمساكها بدرجات متفاوتة بالتعاليم الموسوية، تتميز عقيدتهم بتمسكهم بالتوحيد المجرّد، وإنكارهم دعوى تأليه المسيح، واعتباره مجرد إنسانٍ، والتزامهم بكتب موسى والأنبياء وما تقضي به من شعائر وفروض. يتحدثون الآرامية وبالرغم من أن معظم أتباعها من اليهود اتخذوا لهم لقب الناصريين فقد اتبعها عدد من الأمم (أي من غير اليهود). ظهرت الأبيونية في أيام المسيحية الأولى، لكنها لم تصبح مذهباً له أتباعه ومريدوه إلا في أيام الإمبراطور تراجان (52 – 117م). أنكروا أن يكون بولس رسولاً وكان لهم إنجيلهم الخاص وهو إنجيل متى (بصورة مختلفة عما هو معروف الآن). وكان رأيهم أن المسيح رجل عادي حُبِلَ به بالشكل العادي ولم يتميز سوى ببره وعطية الروح القدس السامية.

20- الدوسيتية Docetism: مشتقّةٌ من فعل يوناني يعني (يظهر أو يبدو)، فهي تعني "الظاهرية" أي المذهب القائل أن يسوع كان له جسد ظاهري (وهمي) وليس جسداً حقيقياً، وأن الذين قتلوه وصلبوه لم يقتلوه ولم يصلبوه لأنهم كانوا واهمين (شبه لهم) وأنهم لم يقتلوه حقيقةً. والدوسيتيون الغنوصيون هم أول من

قالوا أن المسيح لم يقتل أو يصلب، وإنما شُبِّه لأعدائه من اليهود والرومان أنهم صلبوه= =وقتلوه،وذلك لأنهم أنكروا مجيء الله في الجسد، أي أنكروا أن يكون يسوع هو الله أو ابن الله. وهذه الفكرة ترجع إلى القرن الأول المسيحي، وبالرغم من أن العهد الجديد قد أشار إلى فرقة الدوسيتية، فإن عقائدهم لم تتبلور وتكتمل حتى القرنين الثاني والثالث. ولقد واجهت معارضة قوية من الكتّاب المسيحيين الأوائل بدءاً من أغناطيوس الإنطاكي وإيرانيوس في القرن الثاني. ولقد أدينت الدوسيتية رسمياً في مجمع خلقدونية سنة 451م.

21- عبد المحسن، [م. س]، ص 18

22- المرجع السابق، ص 18

* - القِدِّيسُ حسْبَ تعريف الكنيسة الكاثوليكية، هو كل شخصٍ عاش الفضائل الإلهية في الإيمان والرجاء والمحبة، خلال حياته على الأرض "ببطولة"، فيمكن اعتباره بعد تحقيقٍ دقيقٍ في سيرة حياته، عَلَمًا من أعلام الدين و"سعيدًا مغبوطًا من الفردوس بناءً على الوعود الإلهية المسبقة". و تشترط الكنيسةُ، في بعض الحالات تأييد التحقيق بمعجزةٍ - غالبًا ما تكون شفائيةً عجز الطب عن حلّها - لإعلان القداسة، وإلا تكتفي بإعلانه طوباويًا.

وحسْب المعتقدات المسيحية، فإن العلاقة بين المؤمنين الأحياء والأموات لا تنقطع روحيًا، ولذلك فإنّ من "استراح سعيدًا بعد وفاته" أي ؛ القدّيس يصلّي لأهل الأرض، وطلبُ شفاعته، أي صلاتُه وتضرُّعُه إلى الله، ممكنٌ،و من . الممكن تكريم القديس سواءً من خلال التكنّي باسمه، أو تشييد الكنائس...

23- انظر الموسوعة الحرّة ويكبيديا، تحت عنوان (تاريخ الإساءة إلى شخصيّة محمد بن عبد الله).

24- انظر سيرة القدّيس الأب يوحنا الدمشقي اللاهوتي، جزء من سِيَرِالقدّيسين الشّهداء في الكنيسة القبطية الآرثوذكسية، المنشورة في الموقع الرسمي للأنبا تكلا التابع للكنيسة القبطية St-Takla.org. ومن المهم هنا الإشارة إلى أنّ بعض الموسوعات قد خلطت بين يوحنا الدمشقي و بين القديس يوحنا الذهبيّ الفم (أو يوحنا فم الذهب) ؛ حيث أنّ هذا الأخير هو ابن الحاكم سكوندس الذي كان أحد قادة الجيش الروماني في سوريا. ولِدَ يوحنا الذهبيّ الفم عام 347 للميلاد في مدينة أنطاكية و توفي عام 407 للميلاد في منفاه بمدينة كوماناً. و قد تمّ نقل جثمانه إلك كنيسة الرُّسل في القسطنطينية عام 437 للميلاد.

25- المرجع السابق نفسه.

26- الهرطقة: كلمة إغريقيّة الأصل، تعني الخروجَ على مجموعة الأفكار الدينيّة التي يؤمن بها السَّواد الأعظمُ من الناس في مجتمعٍ وما وزمنٍ ما. و قد عرَّفتها بعضُ المصادر بأنّها أنْ يُفَكِّرَ الإنسانُ لنفسه أو يتساءل متشكّكاً في سلطة الكنيسة.

27- عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيّه محمد ﷺ، ص 3، 4، دراسة منشورة على الإنترنت على موقع نصرة رسول الله ﷺ. www.nosra.islammemo.com من المهم هنا الإشارة إلى أنّ بعض الموسوعات قد خلطت بين يوحنا الدمشقي و بين القديس يوحنا الذهبيّ الفم (أو يوحنا فم الذهب) ؛ حيث أنّ هذا الأخير هو ابن الحاكم سكوندس الذي كان أحد قادة الجيش الروماني في سوريا. ولِدَ يوحنا الذهبيّ الفم عام 347 للميلاد في مدينة أنطاكية و توفي عام 407 للميلاد في منفاه بمدينة كوماناً. و قد تمّ نقل جثمانه إلك كنيسة الرُّسل في القسطنطينية عام 437 للميلاد.

28- المرجع السابق نفسه.

29- عبد المحسن، عبد الراضي محمد، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، بحث من بحوث ندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه المنشورة على موقع المفكرة الدّعوية، www.dawahmemo.com ص 20، 21، 22.

30- كلوني: أطلق الدير البندكتي في كلوني، من مقاطعة بورغونديا في جنوب فرنسا، حركةً إصلاحيةً هدفت إلى "تنصير" أوروبا، وتلقين الناس فيها القيم المسيحية الحقيقية. وفي نهاية القرن العاشر، وعلى امتداد القرن الحادي عشر، شكّلت كلوني والأديرة البندكتية الأخرى، التي انضوت تحت لواء تلك الحركة الإصلاحية، أقوى مؤسسة وأوسعها نفوذاً في طول أوروبا وعرضها. وقد نال ديركلوني منزلة الحصانة تحت الحماية المباشرة للبابا في روما، والحقَّ المُطلقَ في أن ينشئ أديرةً أخرى تابعةً لهُ، وخلال القرنين التاليين من تأسيسه، نال ديركلوني تأثيراً كبيراً وثروةً ضخمةً، وأصبح في الواقع عاصمةً للإمبراطورية الدِّيرية حيث كان يتبعه أكثر= =من ستمائة دير، والألوف من الرُّهبان في أوروبا. وأصبح رهبان ديركلوني بابوات وكرادلةً، وكثيرٌ من رؤسائه كانوا مستشارين للأباطرة والملوك. ومن أشهر رهبان ديركلوني الذين وصلوا إلى منصب البابوية، البابا جريجوري السابع، وتلميذه البابا أوربان الثاني الذي أطلق الحروب الصليبيّة ضد المسلمين.

31- سوذرن، [م. س]، ص 81، 82.

32- انظر:

أ. آرمسترونج، كارين، سيرة النّبيّ محمد، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، ص 283،ط1989،1،دار الكتاب العربي، القاهرة.

ب. فوك، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة عمر لطفي العالم، ص 15، 16، ط1، 1996، دار قتيبة، دمشق.

ج. جورافسكي، [م. س]، ص 80، 81.

د. عريبي، [م. س]، ص 144، 145.

33- عودة، [م. س]، ص 6.

34- انظر:

أ. هاغمان، لودفيغ،المسيحية ضدّ الإسلام حوار انتهى إلى الإخفاق، ترجمة محمد جديد، ص 64 – 69، ط2، 2005،دار قدمس للنشر، سوريا.

ب. آرمسترونج، [م. س]، ص 285 – 286.

ج. عودة، علي بن محمد، العدوان الفكري الغربي على الإسلام و على نبيّه محمد، ص 6، 7، بحث منشور في الموقع الإلكتروني (نُصرة رسول الله).

د. جورافسكي، [م. س]، ص 81، 82.

هـ. عبد المحسن، [م. س]، ص 48 – 50.

و. فوك، [م. س]، ص 17، 18.

35- آرمسترونج، [م. س]، ص 287.

36- هاغمان، [م. س]، ص 69.

37- عريبي، [م. س]، ص 145.

38- فوك، [م. س]، ص 98.

39- انظر:

أ. جورافسكي، [م. س]، ص 81.

ب. عريبي، [م. س]، ص 145.

ج. عبد المحسن، [م. س]، ص 52.

40- انظر: عودة، [م. س]، ص 10 فما فوق.

41- المرجع السابق نفسه ص 10 فما فوق

42- عودة، [م. س] ص 12.

43- المرجع السابق نفسه، ص 13.

44- المرجع السابق نفسه، ص 14.

المحتويات

مُلَخَّص 3
المطلب الأول الاستشراقُ الدِّينيُّ 5
المطلب الثّاني القدِّيس(*)يوحنّا الدمشقي صاحبُ أوّلِ مُؤلَّفٍ في الاستشراق الدِّيني 15
المطلب الثالث بُطرسُ المُبَجَّلُ ومَجمُوعَةُ دير كلوني أوَّلُ كَتيبةٍ دينيّةٍ استشراقيّةٍ. 19
الخاتمة 30